205261 - زواج .. مع وقف التنفيذ

السؤال

أنا فتاة ملتزمة وعلى قدر من الأخلاق بفضل الله ، من مدة تقدم لخطبتي من نفسي شاب ملتزم خلوق ، حيث أنه من بلد أجنبي ولا يمكنه أن يقدم لبلدي من أجل التأكد من موافقتي ، فاتصل بي مباشرة وعرض علي الزواج ، على أن أخبر أنا أهلي حال موافقتي ، فاستخرت الله وقبلت بعد إخبار أهلي وموافقتهم ، وحدد هو موعدا للسفر إلينا من أجل مباشرة مراسيم العقد والزواج ، لكن في هذه الفترة ، أصيب بوعكة صحية شديدة وأسفرت نتائج الفحوصات على أنه مصاب بمرض خطير مزمن عضال ، فأخبرني بذلك ، وسألني ألا أتخلى عنه في محنته ، وطلب مني ألا أخبر أحدا من أهلي ، وقد وعدته بذلك ، في البداية ، ظننت أنها حكاية للتملص من إتمام الزواج ، لكنني تواصلت مع أكثر من شخص فأكدوا لي حقيقة الأمر ، وأنه فعلا مريض بهذا المرض .
المشكلة أنني قد تعلقت به بشكل كبير ، وهو أيضا ، وأنا أعلم أنه الآن لا يستطيع أن يقدم شيئا من أجل الارتباط بشكل شرعي .
ولا نعلم أيضا هل سيمكنه ذلك أصلا ؟ ومتى يكون ؟
وفي المقابل أعلم أنه من المستحيل أن أتخلى عنه في محنته ، خاصة وأنه شاب ملتزم خلوق اجتمعت به من الصفات ما جعلني وعائلتي نوافق عليه .
سؤالي :
كيف أحافظ عليه ، وعلى علاقتي به وأبرهن له أنني لن أتخلى عنه ، وفي نفس الوقت دون أن أغضب ربي ؟

الإجابة المفصلة

أختنا الفاضلة :
نعلم أنه لا أثقل من كلام الحكمة والتعقل والترزن على من لا يستجيب إلا لنداء العاطفة ، ولا يصيخ إلا لصوت المشاعر ، ولا يطربه سوى أنين وخفقان القلب .
ونعلم ـ أيضا ـ أنك قد تلومينا إن نحن خضنا من البدء في زجرك ونهيك واسترجاع خطوة البداية الخاطئة ، وقد تتهميننا بأننا لا نتفهمك ، ولا نقدر معاناتك .
لكن ، فقط ، نرجو منك أن تقدري صعوبة الموقف الذي نقفه نحن ؛ إننا محكمون بأصل شرعي عام ؛ أن : (الدين النصيحة) ، كما قال صلى الله عليه وسلم ، وأن : (المستشار مؤتمن) ، كما قال صلى الله عليه وسلم ، أيضا .
فدعينا الآن ، نعفيك هنا من تقليب صفحة الماضي ، فما كان قد كان ، وربما لا نحتاج أن نتوقف طويلا عند تقرير أصل عام في سلوك العبد ، وسيرته ، وحياته : أن الأنس

الحقيقي إنما هو بالله جل جلاله ، البر الرحيم ، وألا يغفل العبد عن معاني مراقبته ؛ مراقبة بره وجوده وإحسان ، ومراقبة علمه وحكمته وخبرته ، ومراقبة قدرته وقهره وسلطانه ؛ إننا نظن أن ذلك كله منك على بال .

ولنبدأ من حيث تكلمت أنت عن نفسك ؛ من حيث ذكرت ما أنعم الله به عليك ، من الدين ، والخلق ، من حيث ذكرت مراقبتك لربك جل جلاله ، وحرصك على مرضاته ، وخوفك من عصيانه ، والوقوع فيما يغضبه ، سبحانه .

فنقول لك – يا أمة الله – :

إن العبد ـ كما تعلمين جيدا ـ لا يملك من أمر نفسه شيئا ؛ لا خلقا ، ولا تصريفا ، ولا أمرا وتدبيرا ؛ فالعبد لم يخلق نفسه ، ولم يُصرِّفها ، وليس هو مُخولا بأمرها ونهيها ، فيما لله فيه طاعة وشرع.

يا أمة الله ؛

هناك أصلان يحكمان حركة العبد في حياته ، ونظرته لواقع أمره ، واختياره ما يختاره ، قبولا ، أو ردا :

الأول : إيمانه بقدر الله السابق ؛ وهو ركن ركين من إيمان العبد : أن تؤمن بالقدر خيره وشره ، حلوه ، ومره ؛ قال الله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) القمر/49، وأن يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ؛ ويستحضر ذلك في حياته ، وحركاته وسكناته ، ويسلم له : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) التغابن/11 .

قال ابن كثير رحمه الله : " أَيْ : وَمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ ، هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ، وعَوَّضه عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هُدى فِي قَلْبِهِ ، وَيَقِينًا صَادِقًا ، وَقَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ ، أَوْ خَيْرًا مِنْهُ " .

انتهى من "تفسير ابن كثير" (8/137) .

الثاني : أن العبد مأمور بأمر ربه ، مصرف بشرعه : (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الأعراف/54 ، وقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) النساء/65 .

يا أمة الله ؛

إننا الآن أمام مشروع : زواج " ، مع وقف التنفيذ" ؛ لا ، بل واستحالة إتمامه في الظروف المشار إليها ، ثم تعليق إمكان ذلك في المستقبل ، بأجل غير محدد ، ولا معلوم !!

استخارة ، واستشارة ، وبعدها مباشرة ، في الوقت الذي كان مجيء الخاطب مقررا ليتم الزواج ، يسبق القدر ، ليكتشف الخاطب أنه مريض مرضا عضالا .

ألا يشير لك هذا التضافر في الأحداث إلى شيء ؟

ألا يمكن أن يكون مرض هذا الخاطب : علامة على أن زواجك منه لا يصلح لك ، وليس لك فيه خير؟ ألا يمكن أن يكون ذلك ثمرة من ثمرات استخارة الله ، والاستعانة به ، وصدق اللجوء إليه ، ونتيجة لمقتضى الدعاء (..إن كان هذا الأمر شرا لي ..) ؟

يا أمة الله ؛

ألا يستحق هذا الوضع المعقد ، إلى تأمل أكثر عقلا ؟!

التأمل في حال مشروع "زواج مع إيقاف التنفيذ" ، إيقاف لأجل غير مسمى ، لا يعلم منتهاه إلا الله وحده !!

إن المهمة الصعبة لا بد لها من إعداد مكافئ ، وزاد مناسب ، مناسب لطول الطريق ، خوف الانقطاع ..

إننا إذا كنا سنفكر من منظور "الزواج الشرعي" ، على ما نفهمه من شرع الله ، فليس من اليسير القبول بزواج كهذا ، ليس من المرجح أن تبدأ أولى خطواته العملية في وقت قريب ، أو حتى في وقت بعيد ، نعلم نحن أمده ؛ لكن : مجهول !!

ثم نحن نتحدث عن نكاح ، ليس من المرجح ، مع مثل هذا الداء العضال : أن يؤدي مقاصد النكاح التي شرع من أجلها ، وأظهرها الذرية والولد ، مع تمام القدرة على : العفاف ، والإعفاف!!

إننا هنا أمام خلل وقع بينكما ، ونحن بعد لم نصنع شيئا ؛ فكيف بما بعد ذلك ؟!

يتمثل هذا الخلل في اتفاقكما على كتمان المرض عن أهلك !!

إن الله عز وجل شرع الولي في النكاح ، ومنع المرأة من أن تستبد بنكاح نفسها ؛ فلا نكاح إلا بولي ، فإذا كان الولي لم يعلم بمثل ذلك الأمر الخطير المؤثر ، فما قيمة الولي إذا ؟ إنه يتخذ قراره بالقبول أو الرفض ، بناء على معطيات ظاهرة أمامه ؛ فإذا كان مثل هذا المعطَى المؤثر غائبا عنه ، أو مغيبا عنه . بتعبير أدق . بصورة متعمدة ؛ فكيف يمكن الاطمئنان إلى قراره ؟ بل كيف يمكنه هو أن يتخذ القرار الصحيح ، وبمقتضى الأمانة التي جعلها الله في عنقه ؟!

هل جعلناه صورة ، دمية نلعب بها ، ونحن الذين نقرر ، أو لا نقرر ؛ فلأي شيء شرع الله الولي في النكاح إذا ؟

إن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ، قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إ" نَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمَّا أَبُو جَهْمٍ ، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ) فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: (انْكِحِي أُسَامَةَ)، فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ بِهِ ". رواه مسلم (1480) .

فانظري يا أمة الله ، كيف عرضتْ صورة الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف نظر إلى ما فيه مصلحتها ، وما فيه عون لها على تحقيق مقاصد النكاح .

إننا لو افترضنا أن الشرع لم يشترط موافقة الولي ، وتوليه هو أمر النكاح ، لكان واجبا عليك أن تُعلمي أهلك بكل ذلك ؛ فهم شركاؤك في همك وفرحك ، وهم الكنف الذي تأوين إليه في كل مُلمة ؛ فكيف تغررين بهم في مثل ذلك ؟!

لقد ذكر بعض أهل العلم أن من مقاصد اشتراط الولي في النكاح : أن المرأة غالبا ما تنساق وراء عاطفتها ، فكان لا بد لها من صوت العقل ، يسددها ، ويقومها .

لسنا هنا ـ إذا ـ في مقام : نستحب لك ، أو نفضل ، أو ... ، بل إننا نقول : إنه ليس من حقك أن تكتمي ذلك عن أهلك ؛ وليس من حقه هو أن يمنع هذه المعلومة المهمة عن أهلك ، وأن يتواطأ معك على ذلك ؛ حتى لو قدر شفاؤه فيما بعد ذلك ، لكن ما دام أن هذا الأمر قد حصل الآن ، فلا بد أن يكون وليك على بينة من أمر الخاطب ، لأنه هو الذي يملك أن يقبل أو يرفض ؛ صحيح أن وليك الشرعي لا يملك أن يجبرك على النكاح بمن لا ترغبين ، لكنه أيضا ـ وفي حكم الشرع ـ يملك أن يمنعك من الزواج بمن لا يراه مناسبا لك ، ولا يرى في زواجك منه حظك ، ومصلحتك ، وتأملي حديث فاطمة السابق ، بل تأملي مقصد الشرع في تشريع الولي في النكاح ، وإلا فما فائدته إذا .

وليس من حقه أن يمنعك من إخبار أهلك وغشهم .

نعم ، إنه مبتلى ، نسأل الله أن يعافيه ، ويشفيه شفاء لا يغادر سقما ؛ لكن ليس من حق المبتلى أن ينزل بلاءه بالناس ، ولا أن يأخذ ما ليس من حقه ؛ فأعط كل ذي حق حقه .

إن مكارم الأخلاق : أن يؤثر المرء على نفسه ، ولو كان محتاجا ؛ فكيف إذاً يسعى إلى الاستئثار بغيره ، وتحميله مؤنته ، من غير أن يكون على استعداد تام لها ؟!

أختنا الفاضلة ،

نفترض أن وليك قد عرف بذلك ، وقبل هو ، وقبلت أنت ؛ فهنا يأتي الكلام : هل تستمرين ؟!!

فاسألي نفسك حينئذ : هل هي عاطفة عابرة ، أو تصبرين على طول الطريق ؟!

أما إذا فكرت بحكمة ، وروية ، فأنت أبصر بأمرك ، وما فيه مصلحتك .

لكنك الآن ، امرأة أجنبية عنه ، حتى ولو كان خاطبك ، ليس له منك ، إلا ما للرجل من امرأة أجنبية ، فليس لكما أن تتوسعا في الكلام من غير حاجة ، ولا في التعاملات أيضا ، فيما لا يحتاج إليه .

لك مواساته ، حينما يحتاج ، ولا بأس إن حصل كلام ، أو اتصال ، إذا كان لحاجة ، وأذن لك وليك ، ولم يكن فيه خضوع بقول ، أو ائتمار على شيء ، أو مظنة للفتنة .

ليس لأحد أن يفرض عليك عدم انتظار الفرج من الله بشفائه ، ولا ألا تثقي في منة الله سبحانه عليكما بأن يعافيه ، ويجمع بينكما فيما يحبه ويرضاه ، ولا أحد يستطيع أن يجبرك على التنازل عن اختيارك ما دمت ترين أنك متمسكة به ، أو تظنين أنه لا يمكنك العيش بدونه ؛ لكن كل ما نريد أن نقوله هنا : أن تراقبي الله في علاقتك به ، وتفكري بحكمة وروية ، وألا تكون شفقتك وحنانك هي الدافع الوحيد ، أو المتحكم الرئيس في قرارك هذا ؛ وألا تستبدي برأي أو قرار ، دون أهلك ، ووليك الشرعي ؛ يقف معك على واقع الحال ، ثم تقررون جميعا ما ترونه مناسبا .

فإذا ما بدا لكم أنه من الخير لكم أن تقف العلاقة عند هذا الحد ، ويمضي كل منكما في طريقه ، وما قدره الله له ؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) ، فنرى ألا يكون ذلك مفاجئا ، صادما ، بل نرى أن يكون الدور في ذلك لوليك ، يتولى هو معالجة الأمر بحكمة وروية ، وبتدريج مناسب لواقع الحال ، ورفق بالمريض ؛ ألا يصدم بذلك ، ليقلل الأذى والضرر ، قدر الإمكان.

وأيا ما كان اختيارك ، أو قرارك ؛ فليس أقل من أن تفكري فيما أشرنا عليك به ، بحكمة وروية ، وأناة ، وأن تستعيني بالله ، وتسأليه أن يلهمك رشدك ، ويقيك شر نفسك .

يسر الله لك أمرك ، وفرج كربك ، وكشف همك وغمك ، وصرف عنك الفتن ، ما ظهر منها وما بطن .

والله أعلم .